الملائكة

النفس

أعضاء الجسم

الجن

الإنس

الأرض

الأشجار

الحجارة

شُهُودُ يَوْمِ القِيَامَةِ لكَ أوْ عَلَيْكَ

أبُو الحَسَنْ الحِنَّاوِىّ

ملخص الموضوع

- شهودَ يومِ القيامة يختلفون تماماً عن شهود الدنيا ، لا تنفع معهم الرشاوي ولا يعرفون المجاملات ، يُؤمرون من ربهم وخالقهم فينطقون ولا يُزيدون ولا يُنقصُون ولا يكذبون ولا يمتنعون وشهادتهم واضحة وعباراتهم مفهومة.
- إن الله ﷻ هوعالم الغيب والشهادة ويعلم السر وأخفى ، لكنه جعل الشهود لأنه يُحب الإعذارَ إلى خلقه ، ولتقومَ عليهمُ الحجّةُ والبيّنة.
- فنفسُ الإنسان تشهدُ عليه ساعة الإحتضار.
- وأعظم الشهود يوم المعاد على العباد هو ربُهم سبحانه وتعالى.
- أولُ من يشهدُ في الأمم رسُلُها ويكون الحبيب محمد والصادقين من أمته شهداء لأنبياء الله على شعوبهم.
- ومن الشهود على العباد يوم المعاد ملائكة الرحمن ، الكرام الكَتَبَة.
- الأرض ستشهد بكل ما عُمل عليها من خير أو شر، وكل ما عليها من أشجار وأحجارصلبة وأراضى طينية رطبة وكل شيئ سيشهد.
- أعضاء الإنسان تشهد يوم القيامة ، جميع الجوارح مثل اللسان ، البصر، السمع ، الأيدى والأرجل والجلود والعظام.
- الحجر الأسود سيشهد للمعتمرين وحجّاج بيت الله الحرام.
- الزمان ممثلا في الأيام والليالى تشهد بما اقترفه الإنسان فيها من خير أو شر.

تمهيد

لو أنَّ شخصاً أجلسه القاضي أمام خصمُه ، فأنكر الدعوى .. لكنّ خصمَه أثبت الدعوى عليه بشهودٍ عدول ، ودلائل بيّنات واضحات ؟

فلاشك أنه موقفٌ صعبٌ ، لا يُحسد عليه ..

وإذا كان الأمر في الدنيا كذلك ، فلنفكر في أمرٍ أعظمَ من ذلك كله ، إنه يومُ العرض على الله عز وجل ، ذلك اليوم الذي يُظِهرُ الله فيه كلَّ شيءٍ وسيكون الشهود في ذلك اليوم ، من أصدق الخلق ، وأعدلهم.

- إن شهودَ الدنيا قد يكذِبون
- وقد يُبالغون في الحقيقة
- وقد يمتنعون عن الإدلاء بالشهادة خوفاً من مُهدِّدٍ أوطمعاً في مُرَغِّب
- وقد تكون شهادتُهم غامضةٌ تحتاج إلى توضيح وتفصيل
- وقد يحضرون للشهادة
- وقد يمتنعون عن الحضور لشغل أو عائقٍ

لكن شهودَ يومِ القيامة يختلفون تماماً عن شهود الدنيا،

- ✓ لا تنفع معهم الرشاوي
- ✓ ولا يعرفون المجاملات
- ✓ يُؤمرون من ربهم وخالقهم فينطقون
- ✓ لا يزيدون ولا ينقصُون
- ✓ لا يكذبون ولا يمتنعون
- ✓ شهادتهم واضحة
- ✓ وعباراتهم مفهومة.

فلنحاسب أنفسنا ، ما دمنا في دار المهلة ، ومادام في العمر فسحة ، وفي الوقت متسع ، ومادام باب التوبة مفتوحاً !!

أهمية الشهود

- إن الله ﷻ هوعالم الغيب والشهادة ، ويعلم السر وأخفى ، ولا يحتجب عنه شيءٌ ولا يستتر ، وهو القائلُ سبحانه جل شأنه: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾.
- ورغم ذلك فقد جعل الشهداء على الإنسان يوم الدين كثيرين ومتنوعين ، لأنَّ الله ﷻ يُحب الإعذارَ إلى خلقه وأن تقومَ عليهمُ الحجّةُ والبيّنة فهو يبعث شهداءَ إضافيين ، زيادة في إقامة الحُجّة إعذاراً للناس.
- غير أنّ الشهود يوم القيامة على صنفين:

١. الشهود ٢. شهود أعضاء الإنسان

أعظم الشهود هو "رب العزة"

- أعظم الشهود يوم المعاد على العباد هو ربُهم وخالقُهم وفاطرُهم سبحانه ، ولا تخفى عليه خافية لذا فانّه أكبر وأصدق شاهد على عمل الإنسان لإحاطته به منذ نشوئه إلى موته ، يقول عزوجل: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾.

- وأي شهادة أعظم من شهادة الله على عبده وأمته ، وقد أخبرنا سبحانه بقوله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾.

أول الشهود النفس

- فنفسُ الإنسان تشهدُ عليه ، وتكون هذه الشهادة عند الاحتضار، حين لا ينفع الندم ، ولا يجدي الأسف في تلك اللحظات التي يكون الواحد فيها في ذروة الحسرة ، وشدة الألم ، وتقفل أبواب التوبة ويعترف الإنسان ويشهد على نفسه بالتقصير والتفريط ، فأغلى أمانيه أن يقول: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾

ولكن الله ﷻ يكذبه ، ويقول : ﴿ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ وقال كذلك: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾.

وقد أثبت الله شهادة النفوس فقال ﷻ : ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ﴾.

فإذا ما أَذِنَ اللهُ بقيام الساعة واضطربت الأرض وانطمست النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال ، واختل نظام الكون بأمر الله عندها يتتابع الشهود بعضهم وراء بعضهم ، ويظهر للعبد ما لم يكن يعهده من قبل وما لم يكن بحسبانه أو يدور بِخُلده !!

شهادة الرسل والأنبياء

- أولُ من يشهدُ في الأمم رسُلُها ، قال تعالى: ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ ، فيشهدُ كلُ رسولٍ على أمّته بالبلاغ .. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ

نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وهم الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم ، يشهدون على أممهم بالبلاغ كما يشهدون على المكذبين بالتكذيب ، فيكذبُ المكذّبون ، يقولون في كل أمة : ما جاءنا من نذير!!

شهادة النبى وأمّتة للرسل

- فتأتي هذه الأمة ، أمة التوحيد ، أمة محمد ﷺ لتشهد للرسل جميعاً على أممهم المكذبين ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
- وهكذا يكون نبينا محمدٌ ﷺ شهيداً على الأمم وأمته أيضاً !

ـ وهؤلاء الشهداء من أمته هم الذين أجابوه ، فآمنوا به واتبعوه ولم يكفروه يكونون شهداء على الناس.

وطالما حذرالعلماء من الغي والفساد ، وأمروا بالهدى والرشاد !!

فالمشهدُ فاضحٌ لجميع العصاة من أمة محمد ﷺ ،

والمرائين ، حيث يُحرَموا من الشهادة فيكون ذلك دليلاً على أنهم كانوا عُصاة ومُرائيين ومُنافقين قال الله عزوجل:

هكذا يكون موقف الخزي والمهانة ، والحسرة والندامة ، عندما تتمنى قوافل العصاة من المرابين والديوثين والمتبرجات وسائر الفسقة والفاسقات ، من أهل الفن ، وأهل معصية الرسول ، أن تنشق الأرضُ وتبتلعهم.

شهادة الملائكة الكرام

- ومن الشهود على العباد يوم المعاد ملائكة الرحمن ، الكرام الكَتَبَة الذين يعلمون ما تفعلون ، فهم يروننا من حيث لا نراهم ، وهم الذين يستنسخون ما يقوم به الإنسان من أعمال ثمّ يشهدون عليه يوم القيامة، يسجلون أعمالنا ، ويكتبون بمنتهى الصدق والأمانة كل صغيرة وكبيرة من عمل أو قول أو حركة أوسكون ، من خير أو شر يقول المولى عزوجل: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.
- وكل واحدٍ منّا يوم القيامة سيأتي ومعه ملكان ، مَلَكٌ يسوقُه ، والثاني يشهدُ عليه ، ثم تنشر الصحائف التي غفل عنها العباد لقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾.

شهادة الأرض علينا

- وهناك شاهد آخر نعيش على ظهره إنها الأرض تشهد بكل ما عُمل عليها من أعمال وأفعال وما قيل من أقوال ، قال الله ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾.

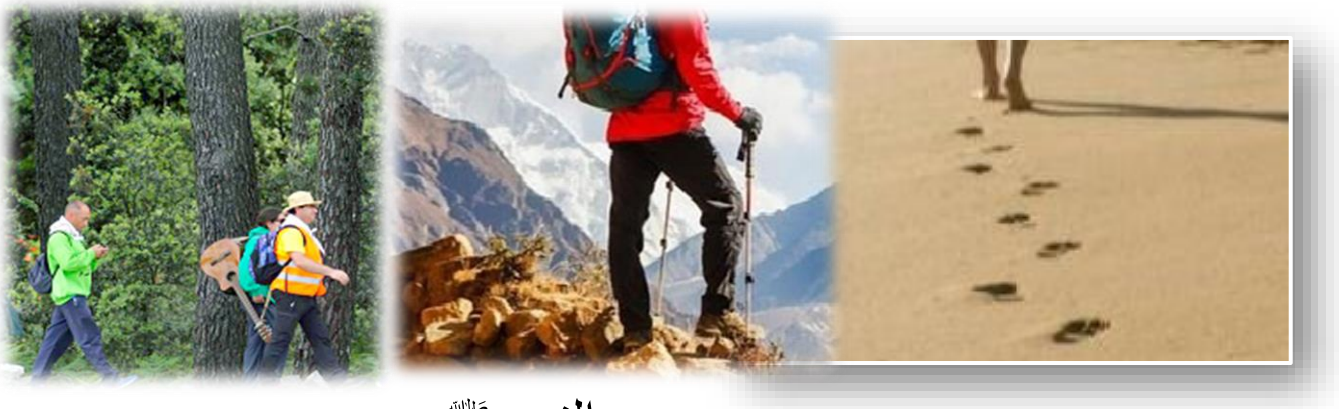

عن النبي ﷺ،

لما قرأ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا قال: « أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: فإن أخبارها يوم تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا فهذه أخبارها».

فياله من موقفٍ عصيب محرج ومخجل ، فهل فكّرنا ساعة أن اقترفنا المعصية ، أن تلك الأرض التي نطؤها بأقدامنا سوف يُنطِقُها الله يوم القيامة ، لتكون شاهدةً لنا أوعلينا ؟

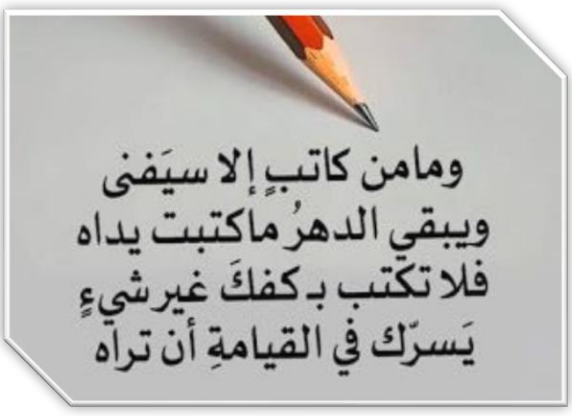

✓ وستُكتب الآثار إلى المساجد ، وآثار المشي لعمل الصالحات وفعل الخيرات ، كذلك تكتب آثار السير الى أماكن المعاصى وأماكن الرذيلة

وارتكاب الجرائم والكبائر فتشهد الأرض لمن مشى عليها إما بالخير أو بالشر.. قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ ، قال النبي ﷺ: « فكل الآثار على هذه الأرض مكتوبة.»

✓ وعلى هذه الأرض أشجار وأحجار تشهد كذلك ، روى البخاري عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ : « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مَدر إلا شهد له يوم القيامة. »

- فتكون الأشجار شهوداً يوم القيامة
- والأحجار أيضاً تكون شهوداً
- والمَدر أى الأرض الطينية الرخوة تكون شاهدة.

شهادة الحجر الأسعد

- كذلك الحجر الأسعد (الأسود) المُثبّت في ركن الكعبة المشرفة سيشهد يوم القيامة لكل من استلمه بحقٍ وليس بأذيّة الخلق كما يفعل الكثيرون بالوكز والتزاحم والتدافع والتسلق على إخوانهم الطائفين ، قال العلماء: " من عصى الله تعالى في موضع من الأرض فليطعه في نفس الموضع ليشهد له بالحسنات كما يشهد له بالسيئات."

وهكذا قد شهدت النفسُ ، وشهد ربُ العزة ، وشهدت الرسلُ ، وشهدت الملائكةُ ، وشهدت الأرضُ وما عليها ، فماذا بقي؟

شهادة الأيام والليالى

- الأيام والليالي (وهما الزمان) سيكونان شهدان على ما قمت فيهما من أعمال وأفعال وما تحدّثتَ به من أقوال وما استمعت اليه من خيرٍ أو منكرٍ منهى عنه.

- مع كثرة الشهود يوم القيامة ، إلا أن من الناس صنفاً ، قد ضلوا وتنكبوا عن الصراط ، فلا يعترفون بشهادة ، ولا يقبلون شهادة الآخرين عليهم ، ولا يعترفون بأحد ، فكل الناس في نظرهم أقل منهم ، ويظنون أنهم لا زالوا قادرين على شراء شهادة الآخرين بأموالهم ، كما كانوا يفعلون في الدنيا ، ويحسبون أن بإمكانهم تغطية جرائمهم وفسادهم عن الله ، كما كانوا في الدنيا يغطونها عن الناس ، بل يفكرون من ذا الذي يجرأ للشهادة عليهم ، وإذا بهم يفاجؤون بختم أفواههم ، واستنطاق جوارحهم ..

أعضاءك سيشهدون ، الأذنان والعينان والفم والأيْدى والأرجل والجلود والعظام: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

قال النبي ﷺ: (يَلقى العبدُ ربَه فيقولُ اللهُ: « ألم أكرمْك ، وأسوّدْك ، وأزوجْك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربَع؟ فيقول: بلى أي ربِ ، فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقولُ: لا ، فيقول: إني أنساك كما

نسيتني. وفي رواية فيقول: آمنتُ بك وبكتابِك وبرسولِك وصلّيتُ وصمتُ وتصدقتُ ، ويثني بخيرٍ ما استطاع ، فيقولُ اللهُ : ألا نبعثُ شاهدَنا عليك وفي رواية فيقولُ اللهُ : هاهنا إذن ، الآن نبعثُ شاهداً عليك ، فيتفكّرُ في نفسه ، من ذا الذي يشهدُ عليَّ؟ فيُختمُ على فِيه (فمه) ويُقال لفخذه : انطقي ، فتنطقُ فخِذَه وفمه ولحمه وعظامه بعمله ، بعمله ما كان ، وذلك ليُعذر من نفسه ، وذلك المنافقُ وذلك الذي يُسخطُ عليه».

ملك سائق وآخر شهيد

يقول الإمام إبن القيّم في الفوائد .. قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ ثم اخبر عن أحوال الخلق فى هذا اليوم ، وأنَّ كل أ حدٍ يأتى الله سبحانه ذلك اليوم ومعه سائقٌ يسوقه ، وشهيد يشهدُ عليه وهذا

- غير شهادة جوارحه
- وغير شهادة الأرض التى كان عليها ، له وعليه
- وغير شهادة رسوله والمؤمنين.

فإنَّ الله يستشهد على العباد الحفظة والانبياء والأمكنة التى عملوا عليها الخير والشر والجلود التي عصوه بها ، ولايحكم بينهم بمجرد علمه فقط وهو أعدل العادلين واحكم الحاكمين.

ولهذا أخبر نبيه ﷺ أنَّه يحكم بين الناس بما سمعه من إقرارهم وشهادة البيّنة لا بمُجرّد علمه ..

فكيف يسوغ لحاكم أن يحكم بمُجرّد علمه وبدون بيّنة ولا إقرار؟

إنتهي كلامه.

أسأل الله عز وجل ، بمنّه وكرمه أن يرحمني وإياكم في ذلك اليوم ، وأن يُعاملنا بلطفه ، وأن يتجاوز عنا ، وأن يسترنا ، ولا يفضحنا بين الناس على رؤوس الأشهاد ، إنه عفو غفور.. كريم رحيم.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم الى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أخوكم في الله / أبوالحسن حناوى

7 من سبتمبر 2021